الفصل الثاني عشر

هونغ كونغ.. لؤلؤة الشرق وتألقه

استطاعت هونغ كونغ أسر خيال العالم كما لم يستطع أي مكان آخر على وجه البسيطة أن يفعل. فمن نقطة حدودية كان يستخدمها تجار بريطانيا (انظر حكاية جيمس كليفل – James Clavell – الشهيرة.. Tai – Pan and Noble House) إلى مستعمرة أضحت درة التاج البريطاني، إلى منتجع سياحي للسياح والمتسوقين من كل أنحاء العالم، إلى مسرح حكاية بروس لي (Bruce Enter the Dragon) (Lee) ثم حكاية جاكي شان (Shanghai) (Jackie Chan Noon) اللتين أخرجتا في شكل أفلام سينمائية، ثم إلى مركز تجاري عرف بـ (مغرب آسيا).. هكذا استمتعت هونغ كونغ كثيرًا بما اكتسبته من شهرة ذائعة الصيت، فأضحت (لؤلؤة الشرق) ومع ذلك كله، عندما بدأ نجم اليوم الثلاثين من شهر يونيو لعام 1997م، يلوح في الأفق، حيث ينتظر أن تعود هونغ كونغ إلى حضن الصين، بدأ كثيرون في كتابة نعيها، وأشهر تلك الكتابات، التغطية التي نشرت في شهر يونيو من عام 1995م، في مجلة (Fortune) بعنوان "وفاة هونغ كونغ" ومنذ عام 1995م، تميزت تجربة هونغ كونغ على نحو واضح باختصارين متشابهين – سار (SAR) وسارس (SARS). فالأول، منذ عام 1997 م، عرفت هونغ كونغ كـ "إقليم ذي إدارة خاصة" ولم تعرف كدولة أو حتى مقاطعة. فكشرط لإعادة هونغ كونغ إلى الصين، وللتأكيد على احترام بعض الحريات المدنية الخاصة، رتب البريطانيون، عن طريق الناطق الرسمي باسم الحكومة، لانتزاع وعد من الصين، يلتزم الصينيون بموجبه بحكم هونغ

كونـغ بمفهـوم "دولة واحدة، بنظامين مختلفين" خـلال الخمسين عامًا الأولى بعـد عودتها إلى الصين. وهكذا جاء مصطلح سـار (SAR) الذي هو اختصار لـ (إقليم ذي إدارة خاصة).

غير أن هونغ كونغ لم تستطع أن تبقى على ما يرام بعد عودتها إلى أحضان الصين عام 1997 م. فالمطار الجديد الذي كان يفترض فيه أن يظهر هدية هونغ كونغ لبريطانيا، تعبر من خلالها الأولى في أثناء الافتتاح عن مدى قصور العالم، تسبب في ارتباك شديـد لكثيرين، كما كان مصدر إزعاج لكثير من المسافرين. فضبح بصيحات الأسف والحزن على ضياع الأمتعة.

مـن جهـة أخـرى، انعكسـت الأزمة الماليـة الخانقـة التي اجتاحـت آسيا وأثـرت في كثير من بلدانها كأندونيسيا وكوريـا الجنوبية، وفي هونغ كونغ أيضًا، مسببـة خسائر مادية فادحة وانفعالات عاطفية لكثيرين. فانخفض معدل النمو الاقتصـادي في هونغ كونغ عـام 1998 م، إلى (- 1.5%)، كمـا انخفض مؤشر بورصـة هانق سنق إلى (6.643%)، في حين انخفضـت أسعار العقارات بمعدل (50%) تقريبًـا، وبالمقابـل، ارتفـع معدل البطالـة إلى(6.3%) مسجـلًا أسوأ ارتفاع له خلال تسعة عشر عامًا.

فسجـل اقتصاد هونغ كونـغ انكماشًا واضحًا خلال السبـع سنوات التالية للأزمة. لدرجة صار سائقو سيارات الأجرة الذين كانوا يتفاخرون بما يحققونه من أرباح في أسواق البورصة والعقارات، بالكاد يجدون ما يسد رمقهم في اليوم. إذ اختفـت تلك الصفـوف الطويلة من سيارات الأجـرة، تمامًا عكس الحال في أثنـاء مطلع ذلـك العقد، عندما كان مـن الصعوبة بمكان الفـوز بسيارة أجرة مستعدة لنقلك إلى هذا المكان أو ذاك الموقع.

ثـم جاء عـام 2003م، ليشكل الاختصار الثاني (سارس -SARS) كارثة تستدعـي لفت انتبـاه الكوكب بأثره. ففي مطلع ذلك العـام، ضرب داء عضال،

ظهـر في شـكل علامـات حـادة تؤثر في الجهـاز التنفسـي، عرف إختصـارًا بـ (سارس -SARS) هونـغ كونغ. ففرقت الثقة بهونغ كونـغ إلى مستويات أعمق. وبـدا كأن استشـراف مجلـة (Fortune) لمستقبـل هونغ كونغ قـد تحقق الآن – وهـا هي تقترب من انحدار اقتصـادي مريع. فحتى شعار حملـة التسويق التي أطلقتها حكومة هونغ كونغ: هونغ كونغ، تقبض نفسك – انتهت إلى نتائج سالبة، خياليـة وغير متوقعـة، قبضت نفس النـاس حقًّا، كما قبضـت أرواحهم أيضًا. لدرجـة صـارت هونغ كونغ تبدو وكأنهـا "أقل حتى من مجـرد مدينة صينية"، يبـدو أن معجزة ظاهـرة للعيان قد حدثت، أنعشت اقتصـاد هونغ كونغ ونفخت فيـه الروح مـن جديد. فحقق عـام 2005م، نموًّا قـدره (8.1%) وسجل مؤشر سوق هانق سنق للأوراق المالية أعلى قراءة له منذ شهر فبراير بين عامي 2004 ومطلع عام 2006 م، بمعدل (90%). ويبدو أن قرار بنك الصين المركزي بدعم الـين الصيني، كان بمنزلة أكبر حافز وأسرعـه لاقتصاد هونغ كونغ. لكن، ثمة أسباب أخرى جوهرية دفعت لتحقيق تلك النقلة: هونغ كونغ هي البلد الوحيد في العـالم الذي يتمتع اقتصاده بأكبر قدر ممكن من الحرية، وعزم الصين الأكيد علـى دعمه وإصرارها على مساندته وإنقاذ سمعتـه، الأمر الذي يشرح بوضوح استعادة اقتصاد هونغ كونغ عافيته بتلك الطريقة المثيرة.

تنمية شاملة[1]:

يمكـن رؤية قوة اقتصاد هونغ كونغ بلمحة سريعة من خلال تسليط الضوء على أهميتها، فهي:

- أكثر اقتصاد حر في العالم.
- أكثر اقتصاد في العالم قائم على الخدمات (تمثل الخدمات 90% من إجمالي الناتج المحلي).
- ثاني أكبر بلد في العالم من حيث تحويلات النقد الأجنبي للفرد الواحد.

- سابع أكبر بلد في العالم من حيث امتلاك النقد الأجنبي.
- أعلى نصيب للفرد الواحد على مستوى آسيا قاطبة من حيث الدخل القومي.
- ثاني أهم مصدر للاستثمارات الأجنبية في آسيا.
- ثاني أهم مستقبل للاستثمارات الأجنبية في آسيا.
- ثاني أكبر سوق للأوراق المالية في آسيا.

ويظهر الشكلان (12.1) و(12.2) التدهور الاقتصادي الذي اجتاح هونغ كونغ في أثناء تسعينيات القرن الماضي، وأحدث انتعاش حققه، إذ صعد دخلها القومي بنسبة (7.3%) في عام 2005م، إثر ما حققته من نمو اقتصادي مثير للدهشة عام 2004م، بلغت نسبته (8.6%) متفوقة بذلك على اليابان لأول مرة خلال الثلاثين عامًا الأخيرة. وقد حرصت هونغ كونغ على دعم هذا النمو الراسخ من خلال أداء اقتصادي نشط على المستوى المحلي ودعم القطاع الخاص والاستثمار. ويتوقع أن يعتدل النمو الاقتصادي بنسبة (4 إلى 5%) خلال مدة وجيزة.

التجارة:

حقق إجمالي الصادرات نسبة ارتفاع ملحوظة بلغت (11.4%) عام 2005م، في حين حقق كل من التصدير المحلي وإعادة التصدير، ارتفاعًا بلغت نسبته (8%) و(11.7%) على التوالي. وقد ساهمت رغبة الصين العارمة في تعزيز دخلها من الصادرات، خاصة الإلكترونيات، نتيجة تزايد الطلب العالمي، أكثر مما كان متوقعًا، ولا سيما من الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد الأوروبي، خاصة فيما يتعلق بالملابس الجاهزة، ساهمت تلك الرغبة في دعم النمو الاقتصادي المتأرجح.

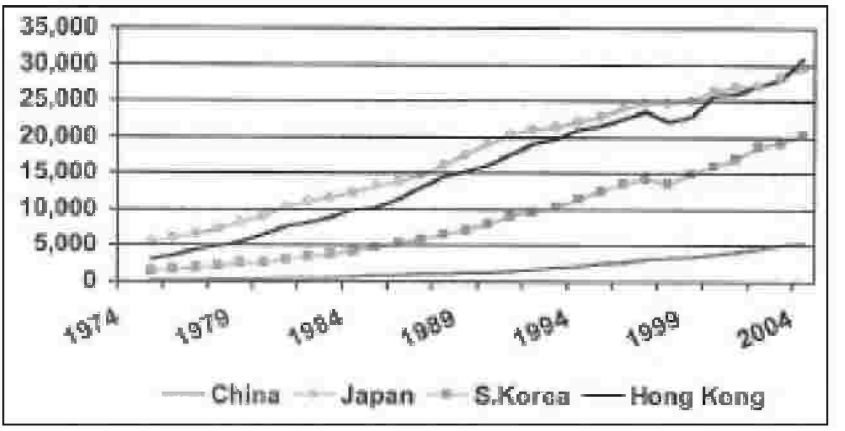

الشكل (12.1) نصيب الفرد من الناتج المحلي من حيث تكافؤ القوة الشرائية (بالدولار).

(المصدر: مؤشرات التنمية العالمية)

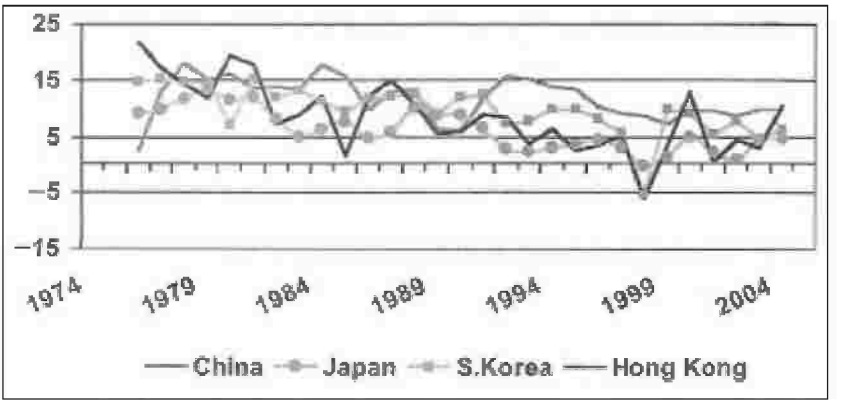

الشكل (12.2) نصيب الفرد من الناتج المحلي من حيث تكافؤ القوة الشرائية – معدل التغير بالنسبة المئوية (بالدولار).

(المصدر: مؤشرات التنمية العالمية)

بجانب هذا، ارتفع معدل صادرات هونغ كونغ خلال عام 2005 م، بنسبة (1.3%). أما الأسواق الرئيسة التي تدفع إليها هونغ كونغ بصادراتها، فهي: الصين (الأم)، الولايات الأمريكية المتحدة، دول الاتحاد الأوروبي واليابان،

إذ استقبلت تلك الدول (45%)، (16%)، (15%) و(5%) على التوالي، من إجمالي حجم صادرات هونغ كونغ خلال عام 2005م.

تجدر الإشارة هنا إلى أن النشاطات التجارية الخارجية في قوانقدونق، حيث أنشأت معظم شركات هونغ كونغ مصانع لها، قد ساهمت إلى حد كبير في الأداء التجاري الجيد في هونغ كونغ. فخلال التسعة أشهر الأولى من عام 2005م، ساهمت تلك النشاطات بـ (38%) من حجم صادرات هونغ كونغ إلى الصين (الأم)، في حين مثلت الصادرات المحلية (56%) مقابل (37%) لإعادة التصدير.

الاستثمار التمويل والصناعة المصرفية:

طبقًا لتقرير الأمم المتحدة عن الاستثمار في العالم لعام 2005م، تعد هونغ كونغ ثاني أكبر مستقبل للاستثمارات الأجنبية على نطاق آسيا. أما على مستوى العالم فقد احتلت المرتبة السابعة. وفي حين لم يزد نمو تدفق الاستثمارات الأجنبية في العالم على (2%) فقط خلال عام 2004م، نجد أنها تضاعفت في هونغ كونغ (150) مرة، لتبلغ (34) بليون دولار أمريكي في العام نفسه. لقد كانت هونغ كونغ أضخم مصدر للاستثمارات الأجنبية المباشرة بين جميع اقتصاديات آسيا، والمصدر السابع عالميًا خلال عام 2004م، كما أنها أكبر مستثمر في الصين (الأم)، وبين أكبر المستثمرين في أندونيسيا، تايوان، تايلاند، فيتنام والفلبين.

من ناحية ثانية، تحتل بورصة هونغ كونغ للأوراق المالية المرتبة الثانية من حيث ضخامة رأس المال على مستوى آسيا، والتاسعة على مستوى العالم. إذ بلغ عدد الشركات التي سجلت فيها عام 2005م، (1.124) شركة، بينها (202) شركة في سوق الشركات المتنامي. وبلغ إجمالي حجم رؤوس الأموال في بورصة هونغ كونغ خلال عام 2005 م، واحد تريليون دولار أمريكي. كما تعد هونغ كونغ

أيضًا، ثاني أضخم مركز للشركات الاستثمارية في آسيا، إذ تدير نحو (27%) من إجمالي رؤوس الأموال المتدفقة في المنطقة.

أما على صعيد الخدمات المصرفية والتمويل، فلا شك في أن هونغ كونغ تعد مركزًا مهمًّا للخدمات المصرفية والتمويل في دول آسيا المطلة على المحيط الباسيفيكي. إذ كان فيها خلال عام 2005م، (201) بنكًا و(86) مكتبًا تمثل فروعًا لبنوك مختلفة. وقد بلغ حجم القروض التي وفرتها البنوك المصرح لها في هونغ كونغ لتمويل التجارة العالمية، (18.4) بليون دولار، توظف خارج الصين، ووفقًا لتقارير بنك التسويات العالمية، تعد هونغ كونغ ثالث أضخم سوق للأوراق المالية في آسيا، أما على مستوى العالم فقد جاء ترتيبها في المرتبة السادسة.

مركز تجارة عالمي:

تعد هونغ كونغ موطنًا ذائع الصيت لاستضافة مكاتب الشركات المتعددة الجنسيات (الرئيسة أو الفرعية على حد سواء) التي تدير منها أعمالها في الدول الآسيوية المطلة على المحيط الباسيفيكي، خاصة في الصين (الأم)، وبناءً على دراسة حكومية، تمتلك دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة أكبر عدد من المكاتب الإقليمية والرئيسة والفرعية في هونغ كونغ لـ (1.033) شركة، تليه الولايات الأمريكية المتحدة (868) شركة، فاليابان (741) شركة وأخيرًا الصين (267) شركة.

وبجانب هذا، تعد هونغ كونغ أيضًا مكانًا مفضلًا وأثيرًا في العالم لممارسة الأعمال التجارية واستضافة المؤتمرات الأساسية الكبيرة، إذ تشهد سنويًّا ما يزيد على (300) مؤتمر عالمي ومعرض تجاري، ومن أشهر ما شهدته: المنتدى الاقتصادي العالمي في شهر مايو من عام 2001م، اجتماع المحاسبين السادس عشر العالمي في نوفمبر من عام 2002م، و«مؤتمر الرفاهية 2004م: إغراء آسيا

«الذي نظمتـه صحيفـة (International Herald Tribune) في شهر ديسمبر من عـام 2004 م، كما شهدت مؤخـرًا، في 13/8/2005م، جولة المحادثات السادسة لمنظمـة التجارة العالمية على مستوى الوزراء التي أعلنت انضمام هونغ كونغ إلى عضوية المنظمة.

الاتصالات الهاتفية والتلغرافية:

تعد هونـغ كونغ محورًا رائـدًا في الاتصـالات الهاتفيـة والتلغرافية للدول الآسيوية المطلة على المحيط الباسيفيكي. فبنهاية شهر سبتمبر من عام 2005م، كان بهـا (3.8) مليون خط اتصال هاتفي و(420.997) خط اتصال عن طريق الفاكـس. وارتبطت بخطوط اتصال هاتفية مـع أكثر من (230) دولة وما يزيد علـى (2.200) مدينـة في الصين (الأم)، مع نمو مضطـرد في عدد الاتصالات الهاتفيـة مع جميع أنحاء العالم بمعدل (8%) سنويًّـا، بلغت (6) بلايين دقيقة بـين عامـي 2000 و2004م، وهنالـك أكثر مـن (8) بليون مشـترك في الهاتف الجوال، أي ما يزيد على عدد سكان هونغ كونغ ذاتها. كما بلغت الزيادة في عدد مرتادي المواقع الإلكترونية (الإنترنت) (64.6%).

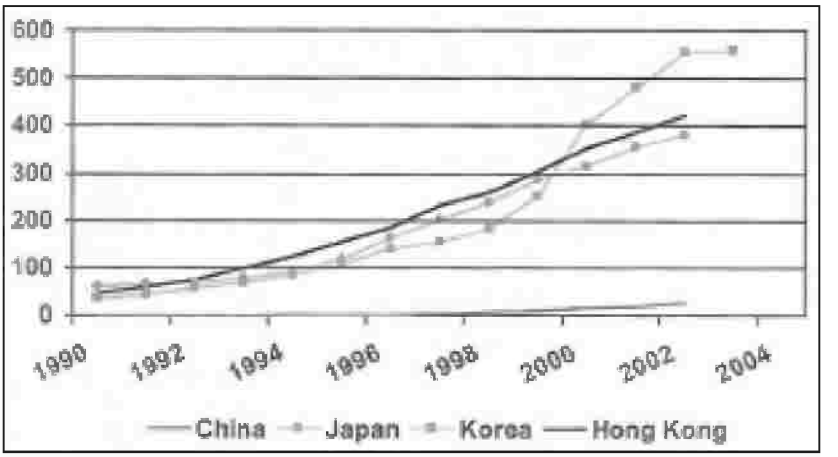

الشكل (12.3) عدد الحواسيب الشخصية (لكل 1.000 شخص).
(المصدر: مؤشرات التنمية العالمية)

انظـر الشكلـين (12.3) و(12.4) اللذيـن يوضحان المؤشـرات الأساسية للتجهيزات المتعلقة بشبكة الاتصالات.

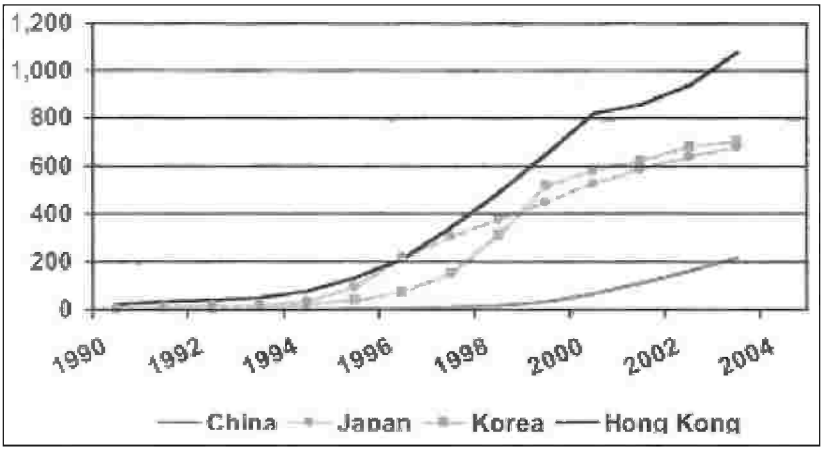

الشكل (12.4) الهواتف النقالة (لكل 1.000 شخص)

(المصدر: مؤشرات التنمية العالمية)

السياحة:

عرفت هونغ كونغ منذ زمن طويل كواحدة من أكثر الأماكن التي يقصدها النـاس بغرض السياحة والتسـوق. ففي عـام 2005 م، قصدها نحـو (23.4) مليون زائر، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف ونصف ضعف سكانها المحليين، بزيادة (7.1%) عن زائريها في العام الماضي.

بدايـة من شهر ينايـر عام 2002م، ألغـي نظام حصة الصـين (الأم) من السيـاح الـذي كان معمولًا به ضمـن نظام مجموعة هونغ كونـغ. وعليه، زاد عدد السيـاح الوافديـن مـن الصـين (الأم) الذين يقصـدون هونغ كونـغ، ففي عام 2005م، زاد عـدد الزوار الذين وصلوا هونغ كونغ قادمين من الصين وبقية أنحاء العـالم بمعدل (2.4%) و(13.1%) علـى التوالي. وأصبح عـدد الزوار القادمين من الصـين (الأم) وحدها (13.4 مليون زائر في عام 2005م)، يشكلون أكثر من

نصف إجمالي عدد الزوار الوافدين إلى هونغ كونغ من كل أنحاء العالم. إذ وصل هونغ كونغ (5.5) مليون زائر أو (44%) من الزوار القادمين منها بنسبة (30%).

على صعيد آخر، يتوقع أن تساعد مدينة عالم ديزني الجديدة في هونغ كونغ على زيادة عدد السياح الوافدين إليها. وبالطبع، عندما تمت مناقشة خطة مدينة الملاهي الجديدة في هونغ كونغ كانت الفكرة «احتشاد نصف سكان العالم لمدة خمس ساعات في المطار الجديد، «وعلى كل حال، ثمة مقال نشر في صحيفة الـ (2) (Wall Street) يؤكد أنه لا شيء سهل في الصين، إذ يقول:

لي زينق (Li Zeng) سائح صيني في الرابعة عشرة من عمره، تجول أمس في مدينة ديزني في هونغ كونغ – ثم غادرها بعد ساعتين. ولم يكن السيد لي (Li) معتادًا رؤية الفأر ميكي (Mickey Mouse) ورفاقه، لم يمتطِ هو أو والده ظهر أي حيوان، لم يشتريا أي أشياء للذكرى أو يتناولا أي طعام داخل ديزني. "نحن لا نفهم مدينة الملاهي هذه".. هكذا قال المراهق، عندما كان ينتظر الحافلة السياحية "لم نعد ننظر للخريطة".

بعد خمسة أشهر من افتتاح شركة والت ديزني، حديقة ملاهٍ في هونغ كونغ، بهدف الاستثمار في السوق الصيني المزدهر، كانت الفوارق الثقافية التي تفصل ميكي عن السيد لي (Li) لا تزال تمثل تحديًا أساسيًّا. ولهذا فهي تعد إحدى المشاكل الأساسية التي تسعى الشركة جاهدة إلى علاجها، حتى إن ترتبت على ذلك نتائج مختلطة. فالحاجة إلى التأقلم كانت ماثلة هنا في الأسبوع المنصرم. فبعد أن كانت تقديرات شركة ديزني لعدد الزوار الذين سوف يزورون مدينة الملاهي خلال احتفالات الصين (الأم) برأس السنة الجديدة متواضعة، تدفق الناس زرافات ووحدانًا، حتى غَصَّ بهم المكان ولم يعد هناك أي متسع لأي زائر جديد. فأمر مسؤولو ديزني بغلق الأبواب، فوجد

مئات الضيوف الغاضبين، القادمين من الصين، أنفسهم عاجزين عن الدخول، على الرغم من أنهم يحملون تذاكر صالحة. فاندفع بعضهم في مباريات صياح مع المسؤولين، وصبوا جام غضبهم عليهم. وأخيرًا، حاولت أسرة واحدة على الأقل من الأسر التي لم تستطع الدخول، أن تقذف بطفلها داخل الحديقة عبر سورها الحديدي المنمق.

قبل الأسبوع المنصرم، لم تكن كثرة الزوار تمثل أي مشكلة لديزني. بل على العكس تمامًا، كانت مشكلتها هي تلك الانتقادات التي واجهتها بسبب قلة الزوار. كما انتقد الجمهور تقاعس السياسيين المحليين عن مساءلة المسؤولين عن جدوى مشاركة حكومة هونغ كونغ بـ (57%) من تكلفة المشروع. وبجانب هذا، ارتفعت أصوات التجار معبرة عن خيبة أملهم في تحقيق توقعاتهم بشأن ديزني، وزيادة عدد مبيعاتهم نتيجة لتهافت السياح عليها، فالشركة «ما زالت تتعلم» الثقافة الصينية، هكذا صرح مدير مدينة الملاهي، بيل إيرنست (Bill Ernest) يوم السبت، خلال اعتذاره للجماهير عما حدث الأسبوع الماضي من عجز لتوفير أماكن لكل حاملي تذاكر الدخول إلى مدينة الملاهي.

ومن جهته، قال جي راسولو (Jay Rasulo) رئيس قسم الملاهي، إنه من السابق لأوانه الحكم على نجاح المشروع أو فشله الآن، كما أكد الحاجة إلى مثل تلك الانتقادات ووضعها في سياقها الصحيح. كما ذكر أن تجربة الضيوف في حديقة الملاهي تعد من الأفضل في العالم، إذ أكد أكثر من (90%) ممن زاروها الأسبوع المنصرم أنهم قضوا وقتًا ممتعًا. كما ركز على ضرورة الإصغاء، التعلم والتأقلم كلما كان ذلك ضروريًّا لجعل الناس سعداء.

من جهة ثانية، تعد هذه الدروس حاسمة لشركة ديزني في الوقت الذي يواصل فيه مديرها التنفيذي روبرت إيقر (Robert Iger) مفاوضاته لافتتاح متنزه آسيوي آخر في شانغهاي، ويحاول إيجاد سوق لمنتجات الشركة، أفلامها

وأعمالها التلفازية في الصين، ولطالما حاولت شركة ديزني التكيف مع الثقافة الصينية، غير أن بعض تلك المحاولات كانت سببًا فيما بعد في فتح النار عليها. لقد صممت ديزني المتنزه للسياح الصينيين، الذين، حسبما تقول الشركة، يفضلون التقاط الصور التذكارية في المناسبات على التزحلق في الألعاب الأفعوانية. واليوم، ينتقد كثير من الزائرين المتنزه لصغر حجمه.

من ناحية أخرى، سجلت وكالات السفر الصينية بعض حالات تشوش وارتباك. "اشتكى كثير من السياح عدم إدراكهم كيفية الاستمتاع بملاهي ديزني" هكذا قال شين مي (Chen Mei) مدير قسم الرحلات العالمية بوكالة جو شنق للسفر والسياحة، التي تنظم الرحلات الجماعية إلى المتنزه من مدينة زونقشان جنوبي الصين. ويفد بعض السياح من الصين للمتنزه فقط للتسكع في شارع أمريكا الرئيس والتقاط بعض الصور مع القطة ماري – شخصية ثانوية في فيلم عرض في سبعينيات القرن الماضي (النبلاء). وقد كانت القطة ماري مألوفة لبعض الناس من خلال تكرار عروض الفيلم في جنوبي الصين. وتشبه حكايتها قصة قطة آسيوية أخرى أثيرة في فيلم (أهلًا أيتها الهرة).

لقد غيرت ديزني طريقتها في ممارسة عملها التجاري في المتنزه حتى قبل حادثة الأسبوع الأخير، إذ دعت كثيرًا من النجوم الصينيين اللامعين، وأمنت للجميع معاملة خاصة، فأتاحت لهم الدخول مجانًا خارج أوقات الذروة، كما سعت لتعزيز بيئة المتنزه، فأضافت جليدًا صناعيًّا لمناخ هونغ كونغ شبه الاستوائي. كما عكفت ديزني الآن على إنتاج صور تحتوي على شهادات لشخصيات مشهورة ممن زاروا المتنزه، بدلًا من ترك خلفيتها ملساء شاغرة هكذا.

من أجل مساعدة السياح المرتبكين، بدأت ديزني منذ شهر نوفمبر إنتاج دليل "رحلة يوم واحد" باللغة الصينية، بجانب الخرائط الأساسية، لكي تشرح بوضوح تام كيفية الاستمتاع بملاهي ديزني – والأسباب التي جعلتها ممتعة

بحـق. "يمكنك زيـارة المتنـزه بصحبة أسرتـك للاسترخاء وتعزيـز التواصل وتقويـة الصلات مـع الناس الذين تحبهم" من خلال قراءة الدليل. كما عكفت ديزني على توزيـع نشرات داخل المتنزه بجانب بعض عناصر جذب السياحة في هونـغ كونغ. وربما كان تغيير متنزه ديـزني في هونغ كونغ طريقته في التعامل مع وكالة السفر والسياحة الصينية، أهم الأسباب التي شجعت الناس على ارتياده.

اليـوم، ما زال معظم سيـاح الصين يقضون عطلاتهـم في ملاهي ديزني بهونـغ كونـغ، ويشكلون (50%) من عدد الـزوار الصينيين للمتنـزه. وكثيرًا ما يختار المرشدون الذين يوجهون تلك الجولات السياحية فنادق، مطاعم، مراكز تسـوق وحتى اتجاهـات الجولة السياحية اعتمادًا على مـا يضمن لهم المشاركة فيمـا يمكن أن يتحقـق من مكاسـب. وبسبـب الصفقات المربحة مـع مرشدي الجولات السياحية، تفاخرت إحدى حانات هونغ كونغ المنحرفة، أن رسومها التي تبلغ عشرين دولارًا فقط في اليوم للتمتع بالعروض خمس مرات، تجذب السياح علـى قاعدة منتظمة أكثر مما يفعل ملهـى ديزني. وفي هذا الصدد، قال السيد إيرنسـت (Ernest) إن ديـزني التي تفتقر إلى تجربة عمل مثـل تلك الترتيبات الماليـة، قد أدركـت الآن أن تغيير كل شيء بسيط كأسلـوب تقديم الغداء مثلًا، قـد يشـكل فرقًا هائلًا لصناعـة السياحة المحلية. ولهذا أدرجـت ضمن العقود السياحية للسياح الوافدين من الصين، وجبات غداء مجانية تشجيعًا للسياحة. كمـا قدمت وجبـات مجانيـة للمرشدين السياحيـين. فمن دون تلـك الوجبات المجانيـة والعمولة المميـزة، لم تكن ديزني تقدم حافزًا يغـري السياح بالتهافت علـى المتنـزه. ويقول إيرنسـت (Ernest) إنه الآن بصدد دراسـة تقديم برنامج جديـد تحت شعار: "تنـاول الغداء مع ديزني". مضيفًا أنه ثمة خيار آخر يتمثل في تنظيم مجموعات سياحية خاصة لتناول وجبة الفطور مع شخصيات ديزني.

بجانب هذا كله، لم تعجز ديزني عن ابتكار أساليب أخرى لدغدغة مشاعر السياح واسترضائهم. فعندما هددت وكالة جوو شنق (Ju Cheng) مثلاً برفع دعوى ضدها بسبب مشكلة التذاكر التي حدثت في الأسبوع الماضي، تبنت ديزني لهجة استرضائية – مبدية استعدادها لإعادة ثمن التذكرة إلى كل من لا يرغب في زيارة المتنزه في يوم آخر مستفيدًا من تذكرته ذاتها التي لم يستطع الدخول بموجبها في الأسبوع الماضي بسبب شدة الزحام. وأكد السيد إيرنست (Ernest): "ربما كنا نحن أيضًا شديدي الانتقاد لأنفسنا مثلما ينتقدنا أي شخص آخر".

من أجل توطيد العلاقات وتكوين الصداقات، قدمت شركة ديزني لوكالات السفر والسياحة الصينية، حسمًا شخصيًّا خاصًّا قدره (50%) عندما يزورون متنزهها أو ينزلون فنادقها. كما قدمت الشركة حوافز أخرى لمديري المكاتب السياحية لترتيب عقود سياحية من خلال زيادة هامش الفائدة إلى نحو دولارين ونصف الدولار عما كانت تقدمه من عرض سابق على كل تذكرة دخول للبالغين. كما غيرت تذكرة العودة للمجموعات السياحية، فجعلتها مفتوحة بدلاً من تحديد صلاحيتها بأجل محدد، وهكذا ضمنت لهم حقهم، فحالت دون استيلاء مديري الوكالات السياحية عليه.

لقد أكد السيد إيرنست (Ernest) معتذرًا: "إن الأسلوب القديم في بيع التذاكر، بالإضافة للعدد الهائل من الحضور الذي لم يكن متوقعًا، هو الذي أفضى إلى مشكلة الازدحام التي حدثت الأسبوع الماضي".

تجدر الإشارة هنا إلى أن المسؤولين في ديزني كانوا عادة يحجمون عن إعطاء معلومات دقيقة عن الأعداد الحقيقية التي ترتاد المتنزه. فعندما طلبت إليها السلطات الحكومية في هونغ كونغ معلومات عن نشاطها في أواخر شهر نوفمبر، بعد شهرين من افتتاح المتنزه في منتصف سبتمبر، قالت شركة ديزني إنها استضافت أكثر من مليون زائر. في حين تشير التقديرات إلى أنها استضافت نحو (5.6) مليون زائر.

ونتيجـة لما تم من تغييرات، أكـد مسؤولو ديزني أن عدد الزوار في تصاعد مستمر، خاصـة من الصين (الأم) الذين تزيد أعدادهم على الضعف في أثناء عطلة رأس السنة الجديدة، مقارنة بأعدادهم خلال عطلة أكتوبر من كل عام.

لكـن مع هذا، لا تزال ديزني تعترف أنها لم تستطع بعد أن تحدد بشكل جيد الأوقـات التي يبلغ فيهـا عدد الحضور الـذروة والعكس. فقد ذكـر السيد راسولو (Rasulo) أن ملاهـي ديزني الأوروبية التي تتخذ مـن باريس مقرًّا لها، قد عانت أحيانًـا أوقات زحام عصيبـة، فبعد أول صيف في عـام 1992م، غمرت أمواج من السياح المحليين المتنزه في شهر سبتمبر، ممن اضطروا إلى تأجيل رحلاتهم خوفًا من أمواج السياح الأولى التي عادة ما تفد في بداية فصل الصيف بأعداد غفيرة.

لي كا – شنق (Li Ka -shing):

أخـيرًا، لا بـد للواحـد منـا أن يعبر عن مـدى تقديـره واحترامـه لتأثير إمبراطورية السيد لي كا – شنق (Li Ka -shing) المالية / الصناعية في تنمية اقتصاد هونغ كونغ، وما ينتظر لها من دور في المستقبل. ولكي ننهي هذا الجانب، نقتبس فيما يلي المعلومات التالية عن الرجل ومؤسسته[3]:

يعـد لي كا – شنـق (Li Ka -shing) أثرى شخصـ في هونغ كونغ وشرقي آسيـا قاطبـة. كما يعد طبقًـا لما أوردته مجلـة (Forbes) أغنى رجـل من أصل صينـي في العالم على الإطلاق. ويرأس حاليًـا شركة شونق كونق القابضة. وقد لخص موضوع نشرته مدرسة هارفارد التجارية مسيرة حياة السيد لي (Li) إذ جـاء فيه: "من بداياته المتواضعة في الصين كابن معلم، لاجئ"، ثم كبائع فيما بعـد، مَثَّـلَ لي (Li) نموذجًا فريدًا في الأمانـة والاستقامة والقدرة على التكيف مع مختلـف الظروف. فعـن طريق العمل الجـاد والوفاء والإخلاص، استطاع

بنـاء إمبراطورية أعمال شملـت: البنوك، البناء والتشييـد، العقارات، صناعة البلاستيك، الهواتف المحمولة، محطات التلفزة، إنتاج الأسمنت، تمويل مبيعات التجزئـة (صيدليات وبقالات)، الفنادق، المواصلات المحلية (القطار الجوي)، المطارات، الطاقة الإلكترونية، إنتـاج الفولاذ، الموانئ البرية والبحرية وصناعة السفن وخدمات الشحن.

بوصفه أحد أهم الشخصيـات المؤثرة في آسيا، لقبته مجلة (Asiaweek) عام 2000 م، بـ " أشد الرجال تأثيرًا في آسيا". وفي التاسع من شهر مارس لعام 2006 م، صنفتـه مجلة (Forbes) عاشر أغنى عشرة رجال في العالم، إذ قدرت ثروته بـ (18.8) بليون دولار أمريكي. لكن على الرغم من ثرائه هذا، أشيع عن لي (Li) أنه يتبع أسلوب حياة عادي جدًّا، بعيد كل البعد عن الترف والبذخ، إذ عرف بانتعال أحذية رخيصة الثمن وساعة يد مصنوعة من البلاستيك.

وبجانـب هذا كلـه، اشتهـر لي (Li) بحب الخـير ومساهماتـه في خدمة الإنسانية، إذ قدم عام 1981 م، تبرعات سخية أثمرت عن تشييد جامعة شانتو، قـرب مسقط رأسه في شاوزو. كما قدم إثـر كارثة الزلزال الذي ضرب المحيط الهنـدي عـام 2004 م، دعمًا بـ (3) ملايين دولار أمريكـي. وتبرع عام 2005 م، بـ (128) مليون دولار أمريكي لجامعة هونغ كونغ، أثارت جدلًا حول الوضع العام للجامعـة. كما حملت مكتبة سنغافـورة الإدارية اسمه، إثر تبرعه بمبلغ (11.5) مليون دولار لمؤسسة التعليم العالي.

تمتع لي (Li) أيضًا لسنوات عديدة بعضوية مجلس إدارة الشركة الصينية العالميـة للائتمـان والاستثمار، التي تعد أضخم الشـركات الصينية التي تتألف مـن عـدة شركات فرعيـة، (42%) منها ملـك لحكومة الصـين. وتعمل كذراع استثماريـة رئيسة لحكومة الصين المركزيـة، وتتمتع بوضع وزاري شرعي ضمن

مجلس الدولة. وبسبب براعته التجارية الفائقة، غالبًا ما يعرف لي (Li) في هونغ كونغ بـ (الرجل الخارق) (السوبر مان).

ولد لي كا – شنق (Li Ka –shing) في شاوزو بمقاطعة قوانقدونق بالصين عام 1928م، ثم هرب عام 1940م، مع عائلته إلى هونغ كونغ إثر اجتياح اليابانيين للصين. فاستقرت عائلة لي (Li) في بيت عمه الثري. فألهبت غطرسة عمه وعجرفته وثروته الطائلة، الحماس في نفس لي (Li) لكي يصنع لنفسه مكانًا في العالم. وبسبب عجزه عن الحصول على عمل، اضطر الطفل لي (Li) إلى قبول أول عمل له كبائع للساعات في محل تابع لعمه. وبسبب ما تمتع به من طاقة جبارة وذكاء حاد، سرعان ما صار لي (Li) أفضل بائع في المحل، وهو ما زال في ربيعه السابع عشر، ليصبح المدير العام عند سن التاسعة عشرة. وبعد ذلك بمدة وجيزة، ترك لي (Li) العمل مع عمه قافزًا إلى شركة أخرى، بائعًا للأدوات المعدنية من الباب إلى الباب، فكان يعمل مدة ست عشرة ساعة يوميًّا: في النهار، يزور العملاء ويعقد الصفقات، وفي الليل، يذهب إلى المصنع يتابع أوامر الشراء ويتعلم الأعمال الصناعية. وكانت عمولته تساوي سبعة أضعاف المبلغ الذي يحصل عليه ثاني أفضل بائع. ثم قرر لي (Li) بعد ذلك، العمل مع البريطانيين الذين كانوا يمثلون كل القوة يومئذٍ، فاتفق مع مدرس بريطاني لكي يعطيه دروسًا خصوصية في اللغة الإنجليزية مساء كل يوم.

وسرعان ما احتلت أعمال لي (Li) الصدارة في كل مجالات الحياة في هونغ كونغ، من الكهرباء، إلى الاتصالات، ومن العقارات إلى البيع بالتجزئة، ومن صناعة الشحن بالسفن إلى شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت). لدرجة أشيع أن كل دولار يتم إنفاقه في هونغ كونغ، تذهب خمسة سنتات منه إلى جيب لي كا – شنق (Li Ka –shing). وبنهاية عام 2005م، تجاوز رأس مال شركات السفن التي يديرها، مجموعة شنق كونق وهوتشنسون، المائة وخمسين بليون

دولار أمريكي. وتنشط شركاته الآن في أكثر من (51) دولة، ويعمل بها أكثر من (210.000) شخص من مختلف بلدان العالم. ويدير ولداه أجزاء أساسية من إمبراطوريته المالية والصناعية.

العلاقات الاقتصادية مع الصين (الأم):

تعد هونغ كونغ أهم مركز تجاري لتوزيع السلع التي تنتجها الصين (الأم). ففي حال اشتمال الأمر على إعادة التصدير إلى الصين ومنها، نجد أن نحو (22%) من تجارة الصين الخارجية تمر عبر هونغ كونغ. كما تعد هونغ كونغ أيضًا أكبر مصدر للاستثمارات الأجنبية المباشرة في الصين (الأم)، فبنهاية عام 2004 م، كان هنالك (47%) من إجمالي المشروعات الاستثمارية الأجنبية المسجلة في الصين (الأم) مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمصالح هونغ كونغ.

من جهة أخرى، تعد الصين (الأم) إحدى أهم الدول الأساسية التي تستثمر في هونغ كونغ. فبناءً على المعلومات الواردة من قسم الإحصاء بإدارة هونغ كونغ، بلغ حجم استثمارات الصين المباشرة في هونغ كونغ (130.8) بليون دولار أمريكي، لتشكل بذلك (29%) من إجمالي حجم الاستثمارات الداخلية المباشرة بنهاية عام 2004 م، كما زاد عدد الشركات التي تمتلكها الحكومة أو تدعمها، التي سجلت في القائمة الأساسية في سوق هونغ كونغ للأوراق المالية وسوق شركاتها الصاعد، زاد عددها على المائة شركة.

أما فيما يتعلق بجانب البنوك، فيوجد اليوم (26) بنكًا صينيًّا تعمل في هونغ كونغ، بالإضافة إلى سبعة مكاتب تمثل بنوكًا أخرى. ويعد بنك الصين اليوم ثاني أضخم مجموعة بنكية في هونغ كونغ بعد مجموعة بنك هونغ كونغ وشانغهاي (HSBC). وبجانب هذا، افتتحت البنوك الصينية الثلاثة المتخصصة – البنك الصناعي التجاري، البنك الزراعي وبنك الشعب للتشييد – فروعًا لها في هونغ

كونغ. كما افتتحت بعض بنوك الصين التجارية الأخرى، كبنك شنزين للتنمية، إيفربرايت وبنك التجار، فروعًا لها أيضًا في هونغ كونغ.

كما تعد هونغ كونغ مفتاح مركز تنمية استثمارات الشركات الصينية في البلدان الأخرى. فبنهاية عام 2004 م، بلغ عدد الشركات الصينية (بما فيها H-Shares،red chips وغيرها من الشركات الصينية المسجلة عالميًّا) التي سجلت في هونغ كونغ (130) شركة، برأس مال قدره (256) بليون دولار أمريكي، ويعادل هذا المبلغ (30%) من مجموع رأس المال المتداول في سائر هونغ كونغ. حققت خلال الإحدى عشرة سنة الماضية فقط أرباحًا بلغت (102) بليون دولار أمريكي. وكان أكبر قدر من الأرباح والنجاح من نصيب شركتي (PICC) و(China Life) للتأمين.

سيبا.. اتفاق بشأن حرية التجارة بين هونغ كونغ والصين (الأم):

في واقع الأمر، منذ عام 2004 م، يعد الاتفاق حول الشراكة الاقتصادية الذي يعرف اختصارًا بـ (سيبا -CEPA) بين هونغ كونغ والصين (الأم) أول اتفاق ثنائي بشأن حرية التجارة للبلدين معًا، الصين وهونغ كونغ. ويهدف اتفاق الشراكة الاقتصادية هذا، إلى التأكيد على ارتباط هونغ كونغ اقتصاديًّا مع الصين، وضمان استفادة شركات هونغ كونغ الصغيرة من انفتاح الصين وتحرير تجارتها إلى حد أبعد مما يسمح به التزامها بموجب انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية.

الفرص المتاحة للتجارة في البضائع:

بموجب اتفاق الشراكة الاقتصادية، تعفى (90%) من صادرات هونغ كونغ المحلية إلى الصين (الأم) من الجمارك. وسوف يسمح هذا بدخول كل صادرات

هونـغ كونـغ المحلية تقريبًا إلى الصـين في عام 2007م، دونمـا أي رسوم. ويقدر المبلغ السنوي الذي توفره هونغ كونغ من هذه العملية بـ (750) مليون دولار.

بجانـب الإعفاء الجمركي الذي تتمتع به كل السلع أو المنتجات التي تصنع في هونغ كونغ، تستفيد السلع التي تنتجها هونغ كونغ أو التي تتاجر بها من اتفاق الشراكة الاقتصادية مع الصين بطرق أخرى.

إثـر انضمـام الصـين إلى منظمة التجـارة العالمية، سعى عـدد كبير من مصانـع هونـغ كونغ التي تتخذ من الصين مقرًّا لهـا، إلى اعتماد الصين كسوق محلـي لهـا. غير أن نظام التسويق في الصين قد شـكل عائقًا، إلى حد ما، أمام مـا بذلته من جهود حثيثة لاختراق السوق هنـاك. ويأمل المعنيون في هونغ كونغ تخفيف حدة ما يعتري سبيل تطوير السوق الصيني من مشاكل السداد وحماية حقـوق الملكيـة الفكرية وغيرها مما يواجه أصحـاب المصانع من مواطني هونغ كونـغ الذين يمارسون أعمالهـم في الصين، يأملون علاج تلك المشكلة من خلال إتاحة الفرصة لمزيد من أهل هونغ كونغ للانخراط في نظام التسويق في الصين بموجب اتفاق الشراكة الاقتصادية المبرم بين البلدين.

يعـد تفعيل الإعفاء الجمركـي لأمد بعيد، أمرًا جوهريًّـا لجذب مزيد من النشاطـات الصناعيـة القيمة وتوطينهـا في هونغ كونغ، وتعزيـز المنتجات التي تصنع في هونغ كونغ لخلق طبقة استهلاكية متوسطة في الصين.

وبسبـب ما توفـره من حمايـة لحقـوق الملكيـة الفكرية وتحريـر التجارة والاستثمـار في كل مـا يتعلق بشـؤون البيئة ومـا حققته من سمعـة في الاهتمام بالتصاميم العالمية، بسبب هذا كله، تجد هونغ كونغ نفسها في وضع جيد لتطوير صناعات قيمة تستهدف الصين.

أمـا الاستمرار في إنتاج المنتجات المترفـة، كالملابس الجاهزة والكماليات الشخصيـة والمصنوعات التـي تقوم على تقنية الملكية (طالمـا كان عائد الملكية

الفكريـة يساهـم بنصيب أوفـر مقارنـة بعائـدات العمالة وغيرها مـن تكلفة الخدمـات الصناعية الأخرى) في هونغ كونغ، فمـا زالت مبرراته ماثلة للعيان. فما دامت الصناعات الراقية تستند أساسًا إلى المعرفة ولن يتم إنتاجها بغزارة، فسوف يكون تأثيرها على فرص العمل في هونغ كونغ، خاصة فيما يتعلق بالعمالة غير المؤهلة، متواضعًا جدًّا.

الفرص التجارية المتاحة في مجال صناعة الخدمات:

تغطي شروط اتفاقيـة الشراكة الاقتصادية بشـأن الوصول إلى الأسواق، سبـع عشرة خدمـة صناعية؛ تشمـل: خدمات الاستشـارة الإداريـة، المعارض والمؤتمرات،الدعايـة والإعلان، المحاسبة، البنـاء والعقارات، الخدمات الطبية وخدمـات الأسنـان، خدمـات التوزيـع، خدمـات التسويـق، خدمـات الشحـن والوكالات، خدمات التخزين، خدمـات المواصلات، السياحة، السمعبصريات، الخدمات القانونية، الخدمات المصرفية، خدمات الأمن والحماية والتأمين.

ومـع أن تحرير التجارة الخاص يختلف من صناعة لأخرى، إلا أن الصين قـد وضعت في حسبانها ما تتمتع به هونغ كونغ من امتياز خاص بموجب اتفاقية الشراكـة الاقتصاديـة التي تمنحهـا وضعًا خاصًّـا أبعد مما يتيحـه لها اتفاق منظمـة التجارة العالمية. فعلـى سبيل المثال، حق شـركات هونغ كونغ في عرض منتجاتها في معارض الصين التجارية [4].

بجانـب صناعـة المعارض، حققت هونـغ كونغ شهـرة واسعـة في صناعة السمعبصريـات. ومع فتح أسواق الصـين ذراعيها واسعة لأي كمية من الأفلام التـي تنتـج في هونـغ كونغ باللغـة الصينيـة، والاتكاء علـى مقتضيـات التعاون المشترك، تتيـح اتفاقية الشراكة الاقتصادية بين الصـين وهونغ كونغ، الطريق واسعًـا أمام الأخيرة لاستعـادة مجدها في صناعة الأفلام مـن خلال ما توفره الأولى مـن سوق رائجة لمنتجاتها. وأهم من هذا كله، توفر تلك الشراكة، وسيلة

رائعة لهونغ كونغ لكي تظهر نفسها مدينة عصرية مفعمة بالنشاط والحيوية أمام المستهلك من الصين (الأم).

وليس ثمة شك في أن حر في هونغ كونغ وسكانها، سوف يفيدون كثيرًا من اتفاقية الشراكة الاقتصادية تلك، تمامًا كما تحقق منتجاتها وشركاتها من فائدة. إذ ضمنت الاتفاقية للحرفيين في مجالي الأمن والتأمين، حق العمل في الصين (الأم)، كما ضمنت لسكان هونغ كونغ الدائمين حق أداء الامتحانات التأهيلية هناك أيضًا. وعلاوة على هذا: كفلت الاتفاقية لسكان هونغ كونغ الدائمين الانخراط في نشاطات البيع والشراء بالتجزئة في قوانقدونق.

وعليه، تؤكد كل تلك الشواهد أن كثيرًا من سكان هونغ كونغ سوف يبحثون مستقبلًا عن مزيد من فرص العمل والتجارة في الصين (الأم).

ثقافة المديرين الصينيين وسلوكهم في هونغ كونغ:

تتميز ثقافة ممارسة العمل التجاري في هونغ كونغ عن الأوصاف العامة التي وردت في الفصول من السابع حتى العاشر في عدة أوجه مهمة. فكل الصينيين الذين تتعامل معهم في هونغ كونغ تقريبًا يجيدون الحديث بلغتين، وعلى الأقل يتحدثون الإنجليزية بطلاقة. وبالطبع، ربما كانت لغتهم الإنجليزية أفضل من لغتك أنت. فما زال جون (John) يذكر بإعجاب شديد تلك المأدبة التي أقامها أحد الزملاء الصينيين، الذي ألقى، معتمدًا على ذاكرته، ذلك الجزء من مقطع تلك الأنشودة التي وردت في تراجيديا روميو وجوليت (*)

(*) **روميو وجوليت (1594-1595م)**: تراجيديا في خمسة فصول لشاعر الإنجليز الأكبر وليام شيكسبير. تصور مأساة عاشقين شاء سوء طالعهما أن يكونا من أسرتين متخاصمتين أشد الخصام. فأكره والد جوليت ابنته على الزواج من رجل آخر، فتناولت عقارًا مخدرًا أوهم الناس أنها ماتت. وما أن بلغ النبأ صاحبها روميو حتى هرع إليها وتجرع السم وقضى نحبه إلى جانبها. حتى إذا أفاقت جوليت من غيبوبتها ورأت فتاها ميتًا إلى جانبها انتحرت بخنجر روميو نفسه (المترجم).

(Romeo and Juliet) بلهجة إنجليزية أصيلة ورصينة، في افتتاح تلك المأدبة، محييًا الحضور.. تبدو تلك اللهجات الأوروبية غاية في الذكاء والفطنة!

وفي أثناء تعلمهم اللغة الإنجليزية، لم يهمل المديرون في هونغ كونغ استيعاب الثقافة الإنجليزية والتعمق فيها. إذ يقفون في محطة الحافلات مثلًا في شكل صف، كل حسب دوره. وتعد اللغة الكانتونية اللغة الأولى لمعظمهم.

يعد الإنجليز أكثر الشعوب تحفظًا بين سائر الشعوب التي تتحدث اللغة الإنجليزية، إذ يأتي صوتهم مفعمًا بالاعتداد بالنفس، ويتحدثون بنبرة متدرجة غالبًا ما تعوز الأمريكيين. وعلى الجانب الآخر، تعد اللغة الكانتونية أكثر اللهجات غلظة وقساوة بين سائر الشعوب التي تتحدث اللغة الصينية. لدرجة يبدو وكأن خلافًا قد نشب عندما تسمعهم يتحدثونها.

ليس هذا فحسب، بل قد تسمع الشتم والسباب وتبادل عبارات بذيئة أسطورية - فظة ومبتذلة، لدرجة تفوق الخيال أحيانًا. كما تعد اللهجة الكانتونية المشاكسة أكثر تعقيدًا من لهجة المندرين، سكان البلاد الأم، الرخيمة الرقيقة - للأولى تسع نبرات، أما الأخيرة، فلها أربع نبرات فقط. وبسبب أسلوبهم في الحديث العادي، يبدو لك أن نظراءك الصينيين على الجانب الآخر من طاولة المفاوضات يتشاجرون. في حين أن الأمر لا يزيد على كونه مجرد تبادل وجهات نظر بطريقة هادئة ولائقة حسب أعرافهم. لكن بجانب هذا: يبدون هادئين لدرجة تفوق الخيال عند عودتهم للحديث إليك باللغة الإنجليزية، وربما كان عدم فهم المديرين في هونغ كونغ النظرة الأمريكية للتنفيس عن المشاعر والعودة مجددًا للعمل الجاد، أو إدراكهم تلك النظرة وتقديرهم لها، سببًا في تعقيد الأمور أكثر في وجه الأمريكيين. فإن غضبت عليهم، تكون قد تسببت في إراقة ماء الوجه على جانبي الطاولة، ومن ثَمَّ ضياع الصفقة.

أخـيرًا: نجد أن التواضع واعتمـاد الأسلوب غير المباشر في الحديث، أكثر شيوعًا في جنوبي آسيا مقارنة بما عليه الحال في شماليها. وفى هذا السياق ثمة تباين آخر في الأسلوب، تناولته مجلة هونغ كونغ التجارية فأحسنت وصفه[5]:

"هونغ كونغ" يعد الصينيون أكثر شعوب العالم لطفًا ودماثة وكياسة مع أصدقائهم. فعندما يزور صديق صديقه، يقدم الأخير على تجهيز أدق ما يتعلق بزيـارة الأول مـن تفاصيل إقامة مسبقًـا، لدرجة لا تضطر الضيـف إلى إنفاق المـال حتى على أبسـط الأشياء. وصحيـح.. قد يبدو مثل هـذا السلوك في نظر الغربيـين الذين تقوم حياتهم على مبـدأ الفردانية مربكًا. لكن مع هذا، يتعامل الصينيـون في هونـغ كونغ مع الغرباء بطريقة فظة وقلـب قاسٍ، دون أي نوع من أدنـى اهتمـام. غير أن مثل هـذا السلوك قد يعد ضرورة حتميـة في مدينة تعج بالحركـة كهونـغ كونغ (أو نيويـورك أو باريس)، حيث تدفعـك الأمواج الهادرة حيثما ذهبت، وأحيانًـا تصير أنت جزءًا من تلك الموجة الهادرة، فتدفع آخرين هنا وهناك، فلا لطف ولا اعتذارات، ولا حتى ثمة من يتوقع ذلك.

مـن ناحيـة ثانية، يظهر تعـدد مفاوضي هونـغ كونغ بطريقـة جد غريبة؛ لأن ثقافـة الأعمـال في هونغ كونغ معروفة بفعاليتهـا وسرعتها، فكثيرًا ما تتخذ القرارات الكبيرة على عجل، مبنية بشكل أساس على الحدس، وغالبًا ما يحدث ذلك بعد تأمل عميق للموقف من قبل أولئك الأشخاص الذين يشكلون رأس هرم العائلـة. وعلى العكس تمامًـا، يعتمد الأسلوب الأساسـ لمفاوض هونغ كونغ على إستراتيجية التأخير. وعليه، لا بد أن تكون جاهزًا على الدوام للسرعتين معًا.

مستقبل هونغ كونغ:

صحيـح.. كان لهونـغ كونغ ماضٍ عريق تألقت فيه كثـيرًا، وشهدت خلال العشـر سنوات الأخيرة أحداثًـا صحبتها تغيرات شديـدة ومفاجئة. لكن، ماذا يمكن للمستقبل أن يهب هونغ كونغ يا ترى؟

ربما كان صعبًا علينا استشراف شكل المستقبل الذي ينتظر هونغ كونغ على المدى البعيد؛ لأن مصيرها مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمستقبل بلدان كثيرة جدًّا – لا سيما الصين وتايوان. لكن مع هذا، نحسب أن هونغ كونغ قد نجحت في انتزاع مكانتها اللائقة بها في إقليم الصين الفسيح هذا، كما نجحت أيضًا، بناءً على ملاحظات قليلة منطقية في الاحتفاظ بمكانتها للعشر السنوات القادمة.

وبسبب ماضيها الاستعماري، طورت هونغ كونغ نظامًا قانونيًّا رائعًا، بني على أساس النظام الأنجلو- أمريكي. وبشكل عام، يتطلب الأمر وقتًا طويلًا إلى حد ما لتطوير نظام قانوني جيد يساعد على تسهيل حركة التجارة ويؤكد حرمة العقود. ولأن النموذج القانوني الأنجلو- أمريكي كان أهم نموذج في العالم، إن لم يكن الأكثر شيوعًا أو حظوة، نتيجة لهيمنة بريطانيا العظمى والولايات الأمريكية المتحدة وما تمتعتا به من نفوذ وما كان لهما من سيادة خلال القرن العشرين، لأن الحال كذلك، استفادت هونغ كونغ من بقائها مستعمرة بريطانية أكثر من مائة سنة.

وبجانب هذا، تتمتع هونغ كونغ بأكثر اقتصاد حر في العالم؛ لأن حكومتها لا تفرض أي أرباح أو سياسات ما على الشركات الأجنبية أو فروعها. ولهذا تتباهى هونغ كونغ، وحق لها، ببساطة نظامها الضريبي وخلوه من أي تعقيد، لدرجة لا تكاد تصدق – إذ تفرض رسومًا فقط على الشركات المتحدة، الدخول الفردية، ودخول الأملاك الخاصة، ولا تفرض أي رسوم على البيع، الأرباح، أرباح الأسهم وغيرها من أنواع الرسوم الخفية. كما توفر حرية مطلقة في سوق العمل – دونما اشتراط لحد للأجور. ولا تفرض حكومة هونغ كونغ أي ضوابط على حركة النقد الأجنبي، عكس كثير من الدول الأخرى، خاصة تلك التي في إقليم الصين الواسع – الصين وتايوان. ولهذا كله، احتلت هونغ كونغ المرتبة الأولى من حيث حرية الاقتصاد خلال العشر سنوات المنصرمة بين سائر دول العالم، حسب تصنيف مؤسسة هريتيدج لأكثر اقتصاديات العالم حرية.

وأهـم مـا في هذا كلـه، استطاعت هونـغ كونغ، خلال تلـك العشر سنوات الماضيـة، التي تعد أصعب فـترة في تاريخ اقتصادها، تدبـر أمرها أمام أفضل جيرانها المانحين - الصين وتايوان. ففي الوقت الذي نجد أن تايوان قد تفوقت في رأس المال والأبحـاث التقنية والتصنيع، ووطدت موقفهـا من خلال ترسيخ التقنية المتقدمـة، تقنية المعلومات والصناعـات البتروكيميائية (نحو 30% من شركاتهـا العامة المسجلة)، نجـد أن صناعات هونغ كونغ قد تمثلت في التمويل، السياحـة، النقـل. ويمثل هـذا نحو (40%) مـن شركاتها العامـة المسجلة. أما الصين، فقد أوغلت بعيدًا في مجال التصنيع، ومضت قدمًا حتى أصبحت تعرف اليوم بـ (مصنع العالم).

ومن المثير للاهتمـام حقًّا، الإشارة إلى أنه على الرغم من إعادة التوطين التـي شملت، على وجه الخصوص، كل النشاطات الصناعية في هونغ كونغ، إلا أنها استطاعت الاستفادة من ماضيها وتحقيق مكاسب فريدة - شملت خدمات المـال والخدمات القانونيـة والسياحة. كما صارت مركـزًا مهمًّا لحركة الشحن والنقـل. وأصبح مطارها أكثر مطارات العالم حركـة من حيث الشحن والنقل، كمـا احتل ميناؤها البحـري المرتبة الثانية كأكبر ميناء بحري في العالم حركة ونشاطًا في الشحن والنقل أيضًا.

ويمكن القـول إجمالًا، إن شركات هونغ كونغ قـد حققت مكاسب أكثر من تلك التي حققتها الشركات التايوانية خلال السنوات الأخيرة.

أمـا هل تستطيع هونغ كونغ تعزيز قدرتهـا التنافسية، فالأمر يعتمد كثيرًا علـى مـدى استجابة تايوان. وسوف نستعرض في الفصـل التالي تايوان - التي تعرف بـ (وادي السيليكـون الشرقي) - من حيث ماضيهـا المتميز، حاضرها الغامض، مستقبلها وتأثيرها المحتمل في مستقبل هونغ كونغ.

الهوامش:

1 - إن معظم المعلومات في هذا القسم مستقاة من موقع مجلس هونغ كونغ لتنمية التجارة: (www.tdctrade.com).

2 - جيوفري أ. فولر وميريسا مار (Geoffrey A. Fowler and Merissa Marr) صحيفة الـ (Disney and the Great Wall) (Wall Street 9/2/2006م، ص ب1، ب2.

3 - المصدر: www.wikipedia.com

4 - لم تتعهد الصين بأي التزام بموجب انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية بفتح معرضها الصناعي أمام الشركات العالمية. ولهذا يتحتم على الشركات العالمية التي ترغب في عرض منتجاتها في معارض عالمية بالصين، التنسيق مع المنظمات التي تم تحديدها، التي تفوق المائتي منظمة، لتنظيم معارض عالمية في الصين. علمًا بأن رخصة المعارض مخصصة للشركات الصينية. ولهذا تواجه الشركات الأجنبية التي ترغب في عرض منتجاتها، احتمال عدم تمكنها من امتلاك الأسماء والشعارات المتصلة بالمعارض. إذ ما زالت خطة السماح للشركات المتحدة قيد الدراسة.

5 - كريستين أ. قنزبيرجر (Christine A. Genzberger et al.) مجلة هونغ كونغ التجارية (San Rafael ، CA: Word Trade Press 1994)، ص 129.